

اللغز الشعبي من منظور تداولي

الدكتور: جلال خشاب

جامعة الشريف مساعدي سوق أهراس

اللغز الشعبي * شكل تعبيرى و إبداعى يعكس مظهرًا حضاريًا وفكريًا لدى المجتمع المنجز، وإذا كان اللغز مغرقًا في إيحائيته ورمزيته، فإنه في الوقت نفسه ملازم لفضائه في جميع أبعاده واهتماماته، وهي ميزات شكلت إحدى العوامل المساعدة على خلوده وامتداده.

والملاحظ أن هذا الشكل التعبيري استطاع أن يفتك لنفسه مكانة، ويوطد دعامته ممتدا إلى دائرته التخاطبية الثقافية الحالية عبر شفويته وروايته، باسطة وجوده على الساحات الاجتماعية قاطبة، ذلك أن جميع المجتمعات والأمم تتداول اللغز الشعبي على اختلاف أشكاله، كونه يختزل مسارات هامة من معتزك الحياة اليومية.

من المفهوم المعجمي إلى التشاكل المصطلحي.

إن العودة إلى الأصول اللغوية لكلمة "اللغز" لا تتقيد بالتركيبية ولا بأساس البناء، وإنما تسعى إلى إيجاد تلك العلائق الخفية ما بين المفهوم القبلي والمعنى البعدي.

وتتشكل الكلمة من مادة (ل غ ز) كما جاء في لسان العرب، حيث نجد: "ألغز الكلام وألغز فيه: عى مراده وأضمه على خلاف ما أظهره، واللغز: الكلام الملبس. وقد ألغز في كلامه يلغز إلغازا إذا ورى فيه وعرض ليخفى، والجمع ألغاز مثل رطب ورطاب. واللغزو اللغيزى، والإلغاز، كله حفرة يحفرها اليربوع في جحره تحت الأرض.

يقال ألغز اليربوع إلغازا فيحفر في جانب منه طريقا ويحفر في الجانب الآخر طريقا، وكذلك في الجانب الثالث والرابع، فإذا طلبه البدوي بعصاه من جانب نفق من الجانب الآخر¹

ولعلّ القراءة المتأنية لما جاء في المعجم تدعو إلى تقفي مدى التقارب ما بين الفضائين اللغوي والاصطلاحي، والتمثل في تلك المنافذ التي يحفرها اليربوع، والمعسرة على الإنسان الاهتداء إليه، كذلك شأن اللغز المغرق في الرمزية وفقا استراتيجيته القائمة على احتمالات عديده تضع المتلقي أمام

حيرة ومناهة فعلية تستوجب منه إعمال الفكر وتقصي العلاقات المغيبة قصد إيجاد الصلة ، أو ما يعرف بالحل .

كما أنّ فعل الحفر الذي يقوم به اليربوع في الإنجاز أشبه بما يحدث في اللّغز ، ولكن في إتجاهين يتمثل الأول لدى المرسل ، وأما الثاني فلدى المستمع أو المتلقي حيث يعمد الأول إلى الحفر في البناء المعرفي ككل وتقضي جميع العلامات التي يراها ضرورية في تماسك بنائه اللّغزي على الرغم من تناورها وعدم تجانسها بالنظر إلى الفضاءات التي استقدمت منها ، لكنها تنسجم جميعها في بناء نهائي يعرف باللّغز ذي العتبات العسيرة الولوج ، ومن ثمة يعمد المستمع إلى التعامل مع الخطاب مسقطا كل مدلول يراه لا يستقيم مع روح اللّغز ، كون هذا الأخير يقوم على التعدد الدلالي polysémie ، داعيا إلى الوقوف عند علاماته المشكلة له في بعدها الأحادي ، ثم في انتظامها مع العلامات الأخرى .

إنّ رحلة الكشف عن روح اللّغز بمثابة المجازفة ، ففيها تختبر نباهة وحصافة المستمع ، كما تصبح مكانته تصبح على محك النقد إذا ما أخفق في ذلك بحسب ما تشير إليه الإيضاحات الشعبية المجموعة في هذا الشأن .

كما يتضح في نهاية المطاف ، أن رحلة الظفر بالحل ، أشبه بالإيقاع باليربوع بعد ضبط منفذه الحقيقي ، مما يبرز مدى اهتمام الإنسان بضرورة إعمال الفكر (le savoir faire) في معالجة الأمور قبل الاندفاع ،

لأنّ اللّغز الشعبي لا يعكس وجهها ثقافياً بسيطاً لا يتجاوز عتبة المسامرة بقدر ما هو مثقل بفلسفة شعبية ورؤية مشبعة بتجارب الحياة .

* حول المفهوم والنشأة :

تري الباحثة نبيلة إبراهيم أنّ اللّغز الشعبي " جوهره استعارة ، والاستعارة تنشأ نتيجة التقدم العلمي في إدراك الترابط والمقارنة و إدراك أوجه الشبه و الاختلاف ، على أنّ اللّغز فضلا عن ذلك يحتوي على عنصر الفكاهة ، ذلك أنّ سبب كل شيء يثير الضحك احتواؤه على عنصر عدم التوقع " ²

ولعلّ ما حملت الباحثة على ربط اللّغز الشعبي بالاستعارة هو إغراقه في الإيحاء la connotation ، لكنّه بالمقابل يختزل استراتيجيّة كلاميّة تستند إلى الفعل الحجاجي المستعين بدوره بكل الوسائط الكلاميّة وشبه الكلاميّة المساعدة على إرساء الفعل التواصلي

كما أنّ طبيعة بناء اللّغز تكشف عن مقدرة خطابيّة تعكس نمطا حضاريا وتميّزا لدى المجتمع المبدع ، لأن استراتيجيّة البناء تبرز تفوقا في القول وجماليّة إعداده كما ستوضحه إحدى عناصر الدراسة .

فضاء اللّغز الشعبي :

يقوم اللّغز الشعبي على ضوابط خارجيّة وأخرى داخلية ، أما الخارجيّة ، فتلك المتعلقة بالفضاء العام أو بالجلسة المخصصة للّغز ، وأما الداخليّة فترتبط باللّغز في حد ذاته ، وما يشترط توفره فيه وفي مستمعه والمتفاعل معه أو المتباري .

أ- الضوابط الخارجيّة للّغز

عديدة هي الضوابط المتعلقة باللّغز الشعبي والتي باتت متوارثة ، بل وقاربت الأسطورة بالنظر إلى ما يحيطها من معتقدات بلغت حد التسليم بها ، ولعل أبرزها النبي عن الشروع في إقامة جلسات اللّغز في النهار ، حيث يشير المعتقد الشعبي إلى أن اللّغز المخالف للقاعدة سيبتلى بآبن أقرع، وهي صفة مذمومة في المجتمع ، غير أن أسلوب النبي هنا لا يتوقف عند حدود المعتقد ، وإنما يتجاوز المسألة ، لأن عقد الجلسات نهارا ، هو تعطيل لنشاط المجتمع ودعوة صريحة إلى التنازل عن الاجتهاد والكسب .

كما أنّ الرؤية الشعبيّة في الاهتداء إلى المعتقد عائد إلى تغلغل هذا الأخير في الذات الشعبيّة ، إذ سرعان ما يتحول إلى مسلمة لا تشوبها الشكوك ولا الخرق³ .

وقد تنعت المجتمعات البدائية بالبساطة تارة وسذاجة الرؤية تارة أخرى ، كون هذه الآراء لا تنزل تاريخيا لتلامس حقيقة الممارسات ، والتي تعج معرفة واقتدارا على تفعيلها Savoir et savoir faire حرصا على إقامة حياة متوازنة SAVOIR VIVRE ، مثلما نلاحظ في مجتمعاتنا المزارعة وكيف اعتمدت العجين في أشكاله المختلفة وكيفته بحسب الأوضاع والأحوال الزمنية ، وإلا فكيف نفسر أنواع الخبز أو الكسرة وأشكالها وصولا إلى تلك المحلّات .

إن المسألة تدعونا إلى تقصي أبعاد تلك الفلسفة الشعبية ، فالكسرة، على سبيل المثال ، لم تعد مرتبطة بسد الرمق ودفع الجوع ، بل أصبحت تستحضر أبعادا فنية تتعلق إحداها بالإنجاز وأخرى معتقدية من حيث الشكل الدائري او المثلثي .

ولعلّ مثل هذا الإيضاح يبرز أن هناك عبقرية أسهمت إبداعا وحفظا ونقلًا ، بات من مهامنا الإسراع في نقلها من المشافهة الى الجمع والتوين.

كما توضح القاعدة النفسية الرغبة في التطلع إلى ما وراء المنع ، مثلما يحدث في جلسات اللّغز الشعبي ، والخوف في الوقت نفسه من مغبة المجازفة ، حيث اهتدى التفكير الشعبي الى خرق هذه القاعدة ، وعقد الجلسة نهارا شريطة أن يطوي الحضور اثوابهم ، أو قلب بعض الموجودات⁴ وهو سلوك لا يرقى الى الاستحسان طالما أنه يخالف القاعدة العامة .

أما الشرط الثاني كضابط خارجي ، هو ضرورة التوافق حول طبيعة اللّغز الشعبي ومعرفة إن كان

(شرعي أو ورعي) فأما الشرعي ، هو أنّ اللّغز يحمل على محمل واحد ، ولا يمكن فكّه على موضوعين أو ملمحين .

بينما الورعي ، هو الذي يحتمل حلين أو أكثر كقول اللّاغز

1- أعلى ماجاجاك على الليّ جا و أدّاك ماين أمك وباباك⁵

2- ويمكن الإجابة ب "الموت" وكذلك ب "النوم" وعلى اللّاغز أن يعرب عن طبيعة اللّغز ، لأنه شرط من الشروط المتعارف عليها ، ومن حق المستمع المشارك طرحه قبل بحثه عن الحل .

ومن الشروط المتعارف عليها أيضا في الدائرة اللّغزية هو مصطلح (إلخيتها) أو (جرحتها)، وهو ما يقوله اللّاغز عندما يقارب المشارك الحل ، ويصبح من الضروري الإفصاح عن جوهر اللّغز من قبل صاحبه .

كما أنه من الأسئلة المشروعة في المجالسة اللّغزية هي : (هل هو خليقة أو صنيعه) ، حيث يتطلع المستمع من اللّاغز أن مدار حديثه حول مخلوق أم مصنوع . وهي قواعد تعمل على ضبط المسار التواصلي وتفعيل آلياته كونها استوفت جميع الاهتمامات المضمرة في انتظار رد فعل المستمع .

أما الشروط المتعلقة بالمستمع أو المشارك ، فهي حسن الاستماع ، والاعتدال على التعامل مع علاقات الخطاب ، فإذا ما افتقد إلى الشرطين بات أضحوكة جلسائه ، حيث يختبره اللأغز بخطابات لغزية ساخرة كقوله :

اعلى ما حاجاك

أعلى ثلاثة وثلاثة

وكراكيب الواد

حمه و بو جنب

وسقيت لفاد⁶

وهي أدعية بأمراض خطيرة على كل من لا يحسن سبر أغوار اللغز.

وقول اللأغز الآخر:

"طلع واش كاين في القفة نعطيك عنقود" أو "ماحجاك اعلى وذنمها في احواشها. قفة ياراس داب"

7

كما تبرز النماذج المذكورة رفض العبقرية الشعبية للسذج وضعاف العقول ، مع الدعوة الخفية الى ضرورة استحضار العقل قبل كل إقدام ، لذا نجد أن الاهتمام قد توجه الى الأطفال في قالب ساخر لكنه مثقل بتلك الرؤية المكرسة لفعل المعرفة ومعرفة توظيفها نحو ما جاء في قول اللأغز

أعلى ماحجاك

أعلى أربعه دبك دبك

واثنين طليلرو

واحد يشطحلو والآخر يغنيلو⁸

وعلى الرغم ما يحمله هذا اللّغز من دلالات مغرقة في الفكاهة ، إلا أنه يفتح على ملمح ساخر من أولئك الذين لا يودّون اللّحاق بموكب الكبار . ثم يأتي لغز آخر في غاية البساطة ميسراً فعل المتابعة والاهتمام :

اعلى ماحجك

اعلى طب طب

اوصل للباب واغضب⁹

وإذا ما عجز المستمع المشارك عن إيجاد الحل ، فقد يمهل فترة وجيزة تمتد ثلاثة أيام ، ولا يحق له الاستظهار بلغز إلا بعد إيجاد الحل ، وإذا ما تعسّر عليه ذلك يعترف صراحة أمام المجلس بقوله (باتت) معلنا تقبل هزيمته وما يملى عليه من مقتنيات وجب عليه شراؤها لليلة المقبلة من شاي وحلويات ومكسرات.

وقد يصل التنافس إلى أشده مما يدفع المشارك الى الاستعانة بأحد الشيوخ خلال الفترة أو المهلة الممنوحة له¹⁰

ب- الضوابط الداخليّة للّغز الشعبي :

يحتكم اللّغز الشعبي من حيث البناء الى مجموعة من الضوابط والمتمثلة فيما يلي:

1- المخصوص بالخطاب :

يقوم اللّغز الشعبي على أسس القاعدة الكلاميّة المتداولة والتي يتفاعل فيها كل من المتكلم والمخاطب، ثم ما يحدث من تفاعل كلامي بينهما Acte perlocutoire – Acte locutoire ومن خلال هذه التفاعلات الكلاميّة يتحقق الفعل الكلامي وتتحقق معه غايات تتجلى أساسا في معرفة المرامي الخفية للّغز ، ولهذا الغرض نجد المتكلم يخص مخاطبه بعلامة (التعيين المخاطبة) (الكاف أو أنت le tu) وباستحضاره للضمير يكون المتكلم قد أدخل جليسه في الدائرة الكلاميّة ، وجعله فاعلا في الاستماع ثم في التكلم عندما يظفر بالإجابة ، وتأكيدا على تبني المرسل للاستراتيجية الكلاميّة ، هو تردد عبارة:

"اعلى ما حجاجك" أو "ما حاجيتك...." أو انحاجيك..." إلى غير ذلك من العبارات المرتبطة بفعل المخاطبة والمعاملة على وضع المخاطب في فضاء اللّغز دون غيره، لأن التلفظ بهذه العبارة إيذان بالخروج من فضاء كلامي إلى فضاء جديد يتمتع بميزات التخاطب والاستماع (الخطاب اللّغزي). وغالبا ما تتكرر مثل هذه العبارات، ولا يحق للمرسل إسقاطها، كونها المعلن الأول عن طبيعة الخطاب، لذا فإن صفة التكرار "la stéréotypie" لا تتعلق بالتأكيد، وإنما باتت ملمحا خطابيا وثقافيا وحضاريا، ومن هذا المنظور نجد أنفسنا أمام خطاب مستنسخ "discours du cliché" يتردد عند كل افتتاح خطاب، إيذانا ببداية اللّغز وبشرعيته. وهي خاصية سيتم التطرق إليها في الجانب التطبيقي.

2- شخصية عبد الصمد :

تتردد عبارة عبد الصمد في جل الألغاز الشعبيّة، فكلما انفتح مجال الحديث على اللّغز الشعبي، إلا ووجدنا أنفسنا أمام هذه التسمية الخالدة، والتي خرجت من فضاء الواقع إلى العالم الأسطوري¹¹ وتروي الذاكرة الشعبيّة أن هذه الشخصية كانت تقيم الولائم وتستقبل الوفود والضيوف من كل فح و صوب لتلقينهم المعرفة اللّغزية، حتى بلغ به الأمر، كما جاء في الرواية الشعبيّة، أنه عايش وفاة ابنه الصغير في حجره دون أن يعلم الحضور سوى بلغز مفاده.

عاليّ دخلت أو ماشافها حد

والي في بالها أفضاتو

خريقة أو لعبت السد

ومخلوق قلبي أدا تو

فقد ألغز عن الموت بالزائرة الأنثى التي دخلت خلصة ولم ينتبه إليها ضيوفه، فكان لها متسع في أن تلعب كما يلعب المرء الشطرنج، وتبارت كما يتبارى المتبارون، ثم اختطفته منه خليل قلبه، فنطق أحد الحضور معزّيا " البركة في راسك". ويروى عن هذه الشخصية الأسطوريّة لغزها الشهير

أعلى بنتي أو بنت قلبي

وأنا بيدي اعطيها

هو ما يحيو قصان راسها

وأنا والله ما بغيتها

والمراد بذلك حل اللّغز، لأن الاهتداء إلى حل هو قطع لرأس اللّغز او للمسألة المطروحة.

1- السوابق اللّغزية :

وهي بمثابة سوابق كلامية تمهيدية، تأخذ صفة التردد كلما أردنا الإفصاح عن فحوى لغز جديد، ويشكل الكلام الافتتاحي متوالية تمهيدية suite introductive تتسم بالاستهلال المتداول عادة والمتردد

بدوره ما بين لغز وآخر، حيث يسند اللغز الى "عبد الصمد" لدواعي عديدة تحقق أفعالا تبدأ بالإعلام والإخبار وتنتهي بالوعد والتأكيد، لأن حضور "عبد الصمد" إشارة الى أهلية اللغز وصدقته وشرعيته.

وعلى الرغم من تردد عبارة "ما حاجاك اعلى عبد الصمد" إلا أنها لا تفرز مللا، بقدر ما تضعنا في فضاء: اللغز من خلال صفة التكرار التي باتت جزءا لا يتجزأ من الاستراتيجية الحوارية، أين تتحول العبارة الى مستنسخ كلامي "ليس مكررا أو مجرد عبارة جامدة، في حاجة الى إعادتها سطحيا قصد استقبالها، وإنما هي ذات علاقة بالفضاء التخاطبي العام" ¹²

وتتحول السابقة اللغزية الى خطاب مستنسخ انطلاقا من فعل التكرار الممارس حيث يشير الباحث "جون لويس ديفاييس" J.LouisDufays الى أن مثل هذا التوظيف الكلامي هو "أشبه بالاستعمال المحاكي للمكرر" ¹³.

والملاحظ ان خاصية التكرار تنحدر من الممارسة الشفوية كون هذه الاخيرة " بمثابة الصنف الممثل للملفوظات المنجزة من خلال التمفصلات الشفوية والجديرة بالاستماع " ¹⁴ أما "إدوارد غليسان" Edward Glissant فيرى في "التكرار إمكانية انضاج فكرة تعطي ولادة جديدة، كما أنه شكل من أشكال معرفة العالم، فمن خلال تكرارنا نشعر في رؤية طرف من جديد أخذ في الظهور" ¹⁵

واذا كانت خاصية التكرار قد أوجدت "خطابا مستنسخا" ممثلا في الخطاب الاستهلاكي، فان تواتره اسقط كل رتبة كلامية بل ويحمل على انتظار الجديد من القول اللغزي، ذلك أن شفوية الخطاب المستنسخ تأخذ في الحسبان الكلام القائم على تمفصلات لا يمكن فصلها عن مكوناته، كالنبرة والنوع والخاصية النطقية.. الخ. كما أن هذه الشفوية تأخذ بالتواصل المباشر في شكله التبادلي ما بين الجلساء. لذا يتضح أن الخطاب المستنسخ ليس مجرد بناء كلامي يتوسل به لانجاز بناء تواصلية، بل يحمل دوما جديد القول، لأن صفة التكرار جاءت لترسي صورة خطابية وبلاغية تتسم بالتعالي الخطابية، وبالتجدد والاختلاف، وفي هذا الشأن ترى الباحثة "روث أموسى" R.Amosy أن الخطاب المستنسخ ليس في حاجة إلى أن نكرره سطحيا كي يتلقى كمادة مكررة جاهزة" ¹⁶.

فلما يعمد اللاغز إلى ذكر الخطاب الاستهلاكي " أعلى عبد الصمد ... " ، فإنه يكرس في الوقت نفسه فعلا تكلميًّا Acte illocutoire كما يقول "أنطوان رايبو" "Antoine Raybaud" "بفن وذاكرة شعب متغيرٍ، متأقلم مع التاريخ مفعلا مخيلاته"¹⁷

وقد يغيب "الخطاب المستنسخ" في مقدمات اللغز وتنوب عنه خطابات أخرى تتسم بالتحدي وباشراك المستمع كقول اللاغز

إذا كنت قاري وفهام

أو قاري احروف لبريه

قداش من عالم وفومام

ضحكت اعلمهم ابنيّه¹⁸

فلقد شكلت المتوليتان الأوليان خطابا تمهيديا يشع تعاليا وتحديا من خلال استحضار "أنت" وجعله شريكا في الدائرة التخاطبية ، وكأن باللاغز ارتأى تفعيل الآخر عبر اشراكه في فعل الرد Acte locutoire، احقاقا لفعل تخاطبي نهائي "Acte perlocutoire" تتحدد خلاله معالم اللغز، كما تتضح رؤى معرفية وفكرية وثقافية وحب استحضارها في مستهل هذه الجلسات اللغزية .

والملاحظ لمثل هذا البناء الكلامي يدرك استحضار المرسل لعلامة " قرّاي" و"فهام" إشارة الى قداستهما وسط مجتمع عانى ويلات الجهل لعوامل تاريخية وسياسية، على وجه الخصوص، ومن هنا يتضح أن إعمال الفكر لأجل حل اللغز هو بلوغ أرقى درجات الفهم والعلم .

ويتردد الخطاب الافتتاحي في صيغة الإثارة والتحدي في قول آخر.

إذا كنت قاري أو فهام

أوقاري احروف المتليّ

كاين حاجة في الانسان

أومخلقهاش ربي¹⁹

وقد يرتبط هذا الشكل بالاستراتيجية العامة للّغز بدءاً بعامل الحركة الرامي إلى ٧ بعد كل شعور بالملل في فن المخاطبة ، حيث تتم المراوحة ما بين الفواتح المعلومة (ماجاك أعلى عبد الصمد) وفواتح أخرى جديدة تبعث روحاً وامتداداً في هذا النوع من الإبداع ، فمن الاخبار العام الى الخاص ، ومن المخاطبة الهادئة الى تلك التنافسية المثقلة بروح التحدي " إذا كنت ... " وهي افتتاحية تضعنا امام تحدي فكري وثقافي ، كونها تضع المخاطب امام مسألة في غاية الاهمية تبدأ من الاصغاء ثم الفهم والربط وإعادة البناء .

* اللواحق اللّغزية :

بات من الشائع توسل اللّغز بمقدمات أو بفواتح تحقق أفعالاً مختلفة ، لكنها منفتحة على بعضها بعض بدءاً بالفعل الإخباري ، فالتوكيدي ثم الاختباري، وهي أفعال تحمل المتلقي من فضاء الحلقة اللّغزية إلى فضاءات أخرى يستحضرها لأجل ربط القرائن واستخلاص الدلالة النهائية ، وإذا كانت السوابق تعمل وفق استراتيجية خطابية فان اللّواحق لاتقل شأنها عن ذلك ، بالنظر الى أدوارها الحاسمة المكرسة للفعل التخاطبي والمرسخة للصورة النهائية .

فهي تعتمد الافهام والاطار ، ثم سرعان ما ترتقي إلى التوكيد والتحدي وأنها تنفتح على موضوعات أخرى يحددها المقام أو مسار اللّغز. ولعلّ أبرز ما يمكن استحضاره في هذا الشأن قول اللّغز:

أعلى ما حجاجك

عا اللّي فيك

أو لخرى في لرض نابتة

طلع الحجاية

راهي فيك ثابتة²⁰

ويكشف هذا اللّغز عن حركية الفعل الخطابي من خلال إسقاطه لفكرة " المقولة الجاهزة " " le cliché " وتحولها الى تعبير أساس وفق رؤية البناء المختتم بالمتوالية " طلع الحجاية راهي فيك ثابتة " والتي لم تأت تنمة لفنية البناء ، وإنما لإضفاء نبض وحركة يترجمها فعل التحدي والتوكيد (راهي فيك ثابتة) ، مما يدفع المستمع إلى محاولة جمع مداركه لأجل تبين القصد.

وإذا كانت السوابق واللواحق تحفل بروح التحدي ، فإنها في مواطن أخرى تخرج الى سياقات ثقافية وحضارية ، حيث يختتم اللّغز التالي بمتوالية تكرس موقفاً تاريخياً ودينياً وثقافياً بقوله

أعلى ما حجاجك

أعلى الخو يتبع خوه

تتباع مالوكيفه

هذا احجا عبد الصمد

أوماش احجا يهودى جيفه²¹

فهذا البناء اللغزي يضعنا أمام خطابين مضمنين في خطاب واحد ، إذ يتحول اللغز المتمثل في (الظل) إلى خطاب موازي لصورة اليهودي في المخيال الشعبي، والذي أنزله منزلة الجيفة المحرمة دينا وعرفا . وهو خطاب يختزل رؤية فكرية وايدولوجية ضاربة بجذورها في مسارات المجتمع المعرفية ، فمن اللغز نجد أنفسنا أمام خطاب يسعى ، إلى تكريس الصورة النمطية لليهودي و ترسيخها في المنظور المعرفي للفرد العربي .

ويلاحظ أن اللغز الشعبي يرتقي بالعامل المعرفي متجاوزا فعل التباري والتحدي ، كونه مثقلا بخطابات مبطنة ومرمزة سيتم الكشف عن بعضها في ثنايا الدراسة التطبيقية .

شفوية اللغز الشعبي :

لعلّ من أبرز سمات اللغز الشعبي شفويته ، تلك الخصيصة التي حفظت له رسوخا وامتدادا . وإذا كانت بعض الدراسات تنحى إلى تلك التخريجات التاريخية والثقافية أمام غياب التدوين وضعفه ، مما بات عاملا مباشرا في تراجع المادة الشعبية وانكماشها بانكماش حفظها ورواتها ، غير أن المسألة باتت أبعد من ذلك ، يترجمها صراع المركز والهامش ، وكيف استطاع خطاب السلطة تغييب الصوت الشعبي في جميع أشكاله وتمثلاته.

ومن هنا تفتتح أبواب التساؤلات حول اعتبار الأدب الشعبي أدبا هامشيا ، ولماذا لم يتحمس له المهتمون على الرغم ما حفل به من موضوعات ذات الصلة بالمنظومة القيمية والمعرفية لكل أمة ، وكيف وجّهت الايدولوجيا الغربية اهتمامها إلى موروثها الشعبي انطلاقا من ثقافة الطفل ، بل وعملت على استحضارها حتى في راهنها .

فقد يقودنا الحديث إلى ما هو أبعد من خلال الحفر في الذاكرة التاريخية لمجتمعنا وتبين العوامل الموضوعية من وراء تهميش موروثنا الشعبي الذي يشع نبضا وروحا ابداعية ، بعيدا عن تلك المقولات الجاهزة والتي لا تقل شأنًا عن أدبنا الفصيح ، لأن الموقف لا يستخلص من باب الموازنة أو المفاضلة ، بل ويدعونا إلى المضي في البحث وإنعام الفكر فيما هو أعمق وأخطر. لأن استحسان نص او استهجانته لا يخضع دوما لدراسات دقيقة وجادة ، بقدر ما ينحدر من قرارات مثقلة بوطأة المركزية ، والتي لطالما

رسمت سبلا نقدية ارتأها من أراد وأد ثقافة الآخر، وإلا فكيف نفسر احتفاظ صاحب كتاب الأغاني بأشعار جرير والفرزدق والأخطل، مسقطا أشعار الأربعين الذين بارزهم جرير، ثم أين هجاء المشركين للمسلمين، فضلا عن مصير الشعراء المناوئين للعرش الأموي أو العباسي، دون الوقوف عند الشعر الجاهلي لأن شفوية هذا الشعر وجدت متنفسا لها في بعض ما أراد له الرواة اللاحقون الحضور، وفق الرؤى المصقولة والمجدولة.

وقد تكون هذه الإفاضة ضرورية لما يراد الكشف عنه من حقيقة الشفوية ومكانتها، بالنظر إلى تحقق الفعل التواصل والإبداعي من خلال شفوية الخطاب، لأن الشفوية لا يستقيم أمرها " إلا داخل فضاءها الاجتماعي والثقافي، مما يسمح بإدخال عناصر أخرى في تشكيل شعريّة الشفويّة " ²²

الإحالات والهوامش:

¹- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي، ج 13، دار صادر بيروت مادة (ل غ ز)

²- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، القاهرة، ص 154

³- من المعتقدات الشائعة وذات الصلة بالموضوع عدم تناول الطفل لبعض أعضاء الشاة كالخصيتين أو الطحال، وأن مخالفة ذلك سيشوّه الشفتين وحتى الوجه.

⁴- يمثل طي الثوب أو قلب بعض الموجودات كالأحذية نحو إقدام الإنسان على القيام بسلوك مخالف للمألوف، ولذلك يتبرم كبار السن، وحتى الشباب، من كل ثوب مطوي أو مقلوب بحكم ما يتعلق به من معتقدات، كأن ترفع الزوجة شكواها إلى كبار القبيلة عبر خطاب رامز، حيث تحمل على ظهرها (طاجينا*) وخفين مقلوبين، إشارة إلى مخالفة زوجها لسلوكات المعاشرة، ممتنعة حياء من الإفصاح.

*أداة طهي الكسرة

⁵- أي ما الشيء الذي جاء وأخذك خلسة ما بين والديك

⁶- أي أحاجيك عن ثلاثة أشياء شبيهة بكرات الوادي الحجرية، حى(مرض) بوجنب (شلل نصفي) وسقيت لفاد(امتلاء الجوف ماء).

⁷- أي، ما الأداة التي توجد أذناها في حاشيتها، فهي القفة يارأس الداية.

⁸- المراد به أعضاء الحمار من أربعة قوائم وأذنين وذيل، ثم نهيق

⁹- يراد به الحذاء

¹⁰- في إحدى دراساتنا حول جمع للغز الشعبي بالمنطقة الحدودية سجلنا منافسة شائقة ما بين المرحوم لخضر بلقروي القاطن ببلدية الخضارة الحدودية الجزائرية التونسية وخصومه من القطر التونسي ، حتى توصل الأمر الى تبادل الألباز عبر قابض القطار ، فيكون التفوق حليفه مع جوائز ترسل إليه خصيصا .

¹¹- قادنا البحث الميداني إلى شخصية عبد الصمد، وعوشقيق سيدي المسعود بن عرفة الشابي، عاش أواخر القرن السادس عشر، وقد عرف بحكمة القول والبراعة في اللغز

¹² Ruth Amossy, la notion de stéréotype dans la reflexion contemporaine, in littérature ,n° 73,ferrier, 1989,p36-

¹³ - Jean-louis du fays, stéréotype et lecture, Hachette p249.

¹⁴ Jean peytard , oralité etscriptualité ,deux ordres de situation et de discription -1 linguistiques, langue francaise, 1970,p35,36

¹⁵ Edward Glissant, introduction à une poétique du divers, Gallimard, paris, 1996,p33

¹⁶ Ruth Amossy, la notion de stéréotype dans la réflexion contemporaine in littérature n°73fevrier,1989,p36.

¹⁷ -Antoine Rayband résurgence de l'oralité dans le roman maghrébin ,six conférences sur la littérature africaine de langue française, tubirgen1981,p90.

¹⁸- موضوع اللّغز هو " الموت " وكيف احتار كل عالم فهامه في معرفة أسرارها .

¹⁹- يراد به الوشم .

²⁰- يقصد به عضو "المرارة" في جسد الانسان ، ونبات الدفلة

²¹- ويراد به الإنسان

²² Paul Zumthor ,introduction à la poésie orale, seuil, paris,1983,p40 -1